كامل كيلانى

قصص هندية





بكة الموت

دار المعارف

كامل كيلاني

قصص هندية

شبكة الموت

الطبعة الرابعة عشرة



دار المعارف

رقم الإيداع		١٩٩٢/٩١٩٧
الترقيم الدولي	977-02-3874-0	ISBN

١/٩٢/٣٠١
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

الفصل الأول

١ – مَلِكُ الْجِيادِ

لم تَشْهَدْ بلادُ الْهِنْدِ مَلِكًا ذاعَ صِيتُهُ ، واسْتَفاضَتْ شُهْرَتُهُ – بَيْنَ مُلُوكِ عَصْرِهِ – فِي تَرْوِيضِ الْخَيْلِ الجامِحَةِ (العاصِيَةِ) ، كَهٰذا الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الَّذِي تُحَدِّثُكَ هٰذِهِ الْقِصَّةُ بِهِ . فَقَدْ أَحَبَّ الْخَيْلَ – مُنْذُ نشأته – حُبًّا جَمًّا ، وَلَمْ يَدَّخِرْ فِي سَبِيلِ اقْتِناء كَرائِمِ الْجِيادِ شَيْئًا مِنْ جُهْدِهِ ومالِهِ وتَفْكِيرِهِ .

وقَدْ هابَتْهُ الْخَيْلُ (خافَتْهُ) ، فَكانَ يُلْجِمُها بِيَدِهِ ، ثُمَّ يَعْتَلِي صَهْوَتَها (ظَهْرَها) في مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ ، وَيُسابِقُ الرِّيحَ بِها ، فلا يَلْحَق بِهِ لاحقٌ . فَلا عَجَبَ إذا أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ – في جميع أَرْجاء الْهِنْدِ – لَقَبَ : « مَلِكِ الْجِيادِ » ؛ بَعْدَ أَنْ شَهِدَ لَهُ أَعْداؤُهُ – قَبْلَ أَصْدِقائِهِ – أَنَّهُ سَيِّدُ الْفُرْسانِ ، ونادِرَةُ الشُّجْعانِ .

٢ — حُزْنُ الْمَلِكِ

وَكانَتْ أَحْكامُ هٰذا الْمَلِكِ نافِذَةً عَلى إِقْليمٍ كَبيرٍ ، مِنْ أَقاليمِ الْهِنْدِ الْغَنيَّةِ الْواسِعَةِ . وَقَدْ حَباهُ اللهُ (أَعْطاهُ) — إِلى ثَرْوَتِهِ الْعَظيمَةِ — زَوْجَةً جَميلَةً كَريمَةً عاقِلَةً . ولَمْ يَكُنْ — عَلى هٰذا كُلِّهِ — هانِئَ الْبالِ ، ولَمْ يَذُقْ لِلسَّعادَةِ طَعْمًا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرْزَقْ وَلَدًا يَرِثُ مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

وَقَدْ حَزِنَ الشَّعْبُ لِحُزْنِ مَليكِهِ ، وشارَكَهُ فِي دُعائِهِ وَصَلاتِهِ الَّتي كانَ يُقيمُها — كُلَّ يَوْمٍ — ضارِعًا إِلى اللهِ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صالِحًا يَخْلُفُهُ عَلَى عَرْشِهِ .

٣ — نَصيحَةُ « نارادا »

وَلَمّا نَفِدَ صَبْرُهُ ، لَجَأَ إِلَى وَزيرِهِ الْحَكيمِ : « نارادا » ، أَكْبَرِ فَلاسِفَةِ الْهِنْدِ فِي عَصْرِهِ ؛ فَبَثَّهُ شَكايَتَهُ قائِلًا :

« لَقَدْ تَزَوَّجْتُ — كَما تَعْلَمُ — مُنْذُ سَنَواتٍ خَمْسٍ . وَلٰكِنِّي حُرِمْتُ النَّسْلَ ، عَلَى حاجَتِي إِلَيْهِ .

وقدْ دَعَوْتُ اللهَ مِرارًا وتَكرارًا أنْ يَرْزُقَنِى خَلِيفةً لِى مِنْ بَعْدِى ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعائِى . فَكَيْفَ أَبْلُغُ هٰذِهِ الْغايَةَ ؟ »

فقالَ لهُ الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ :

« إنَّ دُعاءَكَ لا يُسْتَجابُ ، إلَّا إذا شَفَعْتَهُ بِأَثَرٍ نافِعٍ ، مِنَ الْآثارِ الْباقِيَةِ الَّتِى يَذْكُرُكَ بِها النَّاسُ ، فِى حَياتِكَ ، وبَعْدَ مَوْتِكَ .

والرَّأْىُ عِنْدِى أنْ تَبْنِىَ مَعْبَدًا كَبِيرًا ، تَتَقَرَّبُ بِهِ إلَى اللهِ ، لِيَسْتَجِيبَ دَعْوَتَكَ ، وَيُحَقِّقَ طِلْبَتَكَ . »

٤ — المَعْبَدُ الكَبِيرُ

فابْتَهَجَ « مَلِكُ الْجِيادِ » لِهٰذِهِ الْفِكْرَةِ الْجَمِيلَةِ ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ؛ فَأَسْرَعَ إلَى تَلْبِيَتِهِ اثْنا عَشَرَ عَبْدًا مِنْ أَرِقَّائِهِ ، وَخَرُّوا أَمامَهُ — إلَى الْأَرْضِ — راكِعِينَ ، لِيَتَلَقَّوْا أَوامِرَهُ . فَقالَ لَهُمْ :

« أَحْضِرُوا أَبْرَعَ الْمُهَنْدِسِينَ ، وأَمْهَرَ الصُّنَّاعِ . »

فَلَمَّا حَضَرُوا إلَيْهِ ، أَمَرَهُم بِتَشْيِيدِ مَعْبَدٍ عَظِيمٍ ، يَزِيدُ ارْتِفاعُهُ عَلَى ثَلاثِ نَخَلاتٍ طَوِيلاتٍ ، وَأَنْ يَتَفَنَّنُوا فِى نَقْشِهِ بالذَّهَبِ — مِنَ

الدّاخِلِ والْخارِجِ – وَأَنْ يَجْلُبُوا لَهُ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ النّاصِعِ أَغْلاهُ ، وَيُزَيِّنُوا سُقُوفَهُ وبُرُوجَهُ وَأَقْبِيَتَهُ – الَّتِى لَا تُحْصَى – بِأَنْفَسِ الرَّوائِعِ الْفَنِّيَّةِ ؛ حَتَّى يُصْبِحَ أَجْمَلَ مَعْبَدٍ فِى الْعالَمِ كُلِّهِ ، لا فِى الْهِنْدِ وَحْدَها .

وَأَمَرَ حَكِيمَهُ « نارادا » أَنْ يُشْرِفَ عَلَى تَشْيِيدِ هٰذا الْمَعْبَدِ الْكَبِيرِ ؛ فَأَجابَهُ بالسَّمْعِ والطّاعَةِ .

٥ – الْمَعْبَدُ وحَدِيقَتُهُ

وَمَرَّتْ أَشْهُرٌ قَلائِلُ ، تَمَّ بَعْدَها بِناءُ الْمَعْبَدِ ، وارْتَفَعَتْ مَناراتُهُ وبُرُوجُهُ عالِيَةً ، ذاهِبَةً فِى الْجَوِّ . وَقَدِ اكْتَنَفَتْهُ (أحاطَتْ بِهِ) حَدِيقَةٌ حالِيَةٌ بِأَبْدَعِ الْأَزْهارِ ، حافِلَةٌ بِمُخْتَلِفِ الْأَشْجارِ ، مُحَمَّلَةٌ بِلَذائِذِ الثِّمارِ . وَقَدْ جُلِبَ إِلى تِلْكَ الرَّوْضَةِ الْغَنّاءِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْشابِ النّافِعَةِ ؛ تُسْتَخْرَجُ مِنْها الْعَقاقِيرُ الطِّبِّيَّةُ ، وَالْأَدْوِيَةُ النَّباتِيَّةُ النّادِرَةُ ، الَّتِى تَشْفِى الْمَرْضَى مِنَ الدّاءِ الْعُضالِ (الْمَرَضِ الَّذِى يَعْجِزُ الْأَطِبّاءُ عن مُداواتِهِ) .

وَقَدْ بَنَتِ الطُّيورُ عِشاشَها فِى أَعالِى الشَّجَرِ ، وَرَتَّلَتْ أَلْحانَها الْبَدِيعَةَ عَلَى أَغْصانِهِ ، فَمَلَأَتْ نُفُوسَ زائِرِيها بَهْجَةً وَحُبُورًا .

٦ — فى عالَمِ الأحْلامِ

وواظبَ «مَلِكُ الْجِيادِ» عَلَى زِيارَةِ هٰذا الْمَعْبَدِ ثَمانِيَةَ عَشَرَ عامًا كامِلَةً ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ — فِى أَثْنائِها — يَوْمًا واحِدًا ، وَلَمْ يَكُفَّ عَنِ الدُّعاءِ : أَنْ يَمْنَحَهُ اللّٰهُ وَلَدًا يَرِثُ مُلْكَهُ من بَعْدِهِ ؛ حَتَّى فَقَدَ الْأَمَلَ فِى اسْتِجابَةِ دُعائِهِ ، أَوْ كادَ .

وَذاتَ لَيْلَةٍ ، رَأَى — فى مَنامِهِ — نُورًا يَنْبَعِثُ مِنَ الْمَعْبَدِ الَّذِى شَيَّدَهُ ، فَلَمَّا داناهُ رَأَى نارًا مُشْتَعِلَةً ، وشَبَحًا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ لَهِيبِها الْمُنْدَلِعِ . وَسَمِعَ صَوْتًا عَذْبًا يُكَلِّمُهُ : فَخُيِّلَ إِلَيهِ أَنَّ مَلَكًا كَرِيمًا هَبَطَ عَلَيْهِ مِنَ السَّماءِ فَمَلأَ الْمَعْبَدَ الْكَبِيرَ ضَوْءًا وَهَّاجًا .

ورَأَى فَتــاةً مَلائِكِيَّةَ الْمَنْظَرِ

والصَّوْتِ ، وسَمِعَها تقُولُ لَهُ :

« لا شَكَّ فِي أَنَّكَ تَعرِفُنِي ، فَأَنا « سَفِتْرِى » : زَوْجَةُ « بَرَهْما » .

وقَدْ جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِبِنْتٍ سَتَلِدُها زَوْجُكَ ، فَتَمْلأُ عَلَيْكُما الدُّنْيا بَهْجَةً وسُرُورًا .

ويَجِبُ أَنْ تُسَمِّيَها بِاسْمِي ، وتُطْلِقَ عَلَيْها لَقَبَ بِنْتِ السَّماءِ . »

ثُمَّ اسْتَخْفَى الشَّبَحُ ، وأُطْفِئَتِ النَّارُ ، وتَجَمَّعَ رَمادُها فِي صُورَةِ طِفْلٍ صَغِيرٍ .

٧ — بِنْتُ السَّماءِ



فاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مَسْرُورًا ، ودَعا إِلَيْهِ الْحَكِيمَ « نارادا » ، وقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْياهُ ؛ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ سَيُنْجِبُ فَتاةً ، لا نَظِيرَ لَها فِي عالَمَيِ الْإِنْسِ والْجِنِّ ، وأَنَّها سَتَأْتِي بِالْأَعاجِيبِ

وبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ اسْتَوْلَتِ الْبَهْجَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ فِي الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ،

وَشَارَكَهُمُ الشَّعْبُ فِي سُرُورِهِمْ بِتِلْكَ الْمَوْلُودَةِ السَّعِيدَةِ . وكانَ شَعْرُها فِي مِثْلِ لَوْنِ الشَّمْسِ ، وعَيْناهَا يَنْبَعِثُ مِنْهُما نُورٌ عَجِيبٌ .

وَقَدْ أَيْقَنَ أَبَوَاهَا وَأَهْلُها ورِجالُ الْقَصْرِ ، أَنَّ هٰذِهِ الطِّفْلَةَ لَيْسَتْ مِنْ بَناتِ الْإِنْسِ . فَلا عَجَبَ إِذا وَجَدُوا أَنَّ لَقَبَ « بِنْتِ السَّماءِ » لائِقٌ بِها

٨ — مُعِدَّاتُ السَّفَرِ

وَتَوالَتِ الأَعْوامُ ، وانْتَقَلَتْ « سَفْتِرِى » — بِنْتُ السَّماءِ — مِنَ الطُّفُولَةِ إِلَى الصِّبا ، وبَرَعَتْ فِي الْعُلُومِ والْفُنُونِ ، ولا سِيَّما فُنونُ السِّحْرِ ، حَتَّى فاقَتِ الْحَكِيمَ « نارادا » فى تَعَرُّفِ أَسْرارِ النُّفُوسِ . لِهٰذا رأَى وَالِدُها أَنْ يَمْهَدَ إِليها بِأَنْ تَخْتارَ زَوْجَها — كَما تَشاءُ — مِنْ بَيْنِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَراءِ والنُّبَلاءِ . فَأَعَدَّتْ عُدَّتَهـا — تَلْبِيَةً لِأَمْرِهِ — لِسَفَرٍ طَوِيلٍ . وَاُخْتارَتْ أَرْبَعاً مِنْ وَصَائِفِها (جَوارِيها) اللّائِى وَثِقَتْ بِهِنَّ ، وَأَمَرَتْهُنَّ أَنْ يُعْدِدْنَ لَها مَرْكَبَةَ السَّفَرِ ، وَيَشْدُدْنَ إِليها الثَّوْرَيْنِ الْأَبْيَضَيْنِ ، وَيُحَلِّينَها بِالْفُرُشِ وَالْأَسْتارِ الْمُوَشَّحَةِ بِنَفائِسِ الْحُلِيِّ .

٩ — غابَةُ النُّسَّاكِ

ولَمَّا تَمَّتْ مُعِدَّاتُ السفَرِ ، وَدَّعَتْ أَباها ، وَأَمَرَتْ سائِقَ الْمَرْكَبَةِ

أَنْ يذهبُوا بِها إِلَى غابَةِ النُّسَّاكِ – وهِيَ عَلَى مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ مَمْلَكَةِ أبيها – حَيْثُ يَقْضِي كَثِيرٌ مِنَ الزَّاهِدِينَ أَوْقاتَهُمْ فِي الْعِبادَةِ وَالصَّلاةِ وَالصَّوْمِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ صالِحِ الأَعْمالِ ، بَعِيدِينَ عَنْ مَفاسِدِ الْحَياةِ وَشُرُورِ النَّاسِ .

وَقَدِ اعْتَزَمَتْ « سَقِنْتَرِى » أَنْ تَخْتارَ زَوْجَها مِنْ بَيْنِ هؤُلاءِ النُّسَّاكِ الزَّاهِدِينَ ، وَفَضَّلَتْهُمْ عَلَى الأُمَراءِ وَالنُّبَلاءِ – مِنْ أَصْدِقاءِ أَبِيها – الطَّامِعِينَ فِيما لَها مِنْ ثَرْوَةٍ وَجاهٍ .

• • •

وَبَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ ، اقْتَرَبَ مَوْكِبُها مِنْ غابَةِ النُّسَّاكِ . وحِينَئِذٍ نَزَلَتْ « سَقِنْتَرِى » وَوَصِيفاتُها الأَرْبَعُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ

١٠ – النَّاسِكُ الضَّرِيرُ

واقْتَرَبْنَ خاشِعاتٍ مِنْ أَحَدِ مَعابِدِها – وقَدْ بُنِيَ إِلَى جانِبِهِ كُوخٌ مِنْ غُصُونِ الشَّجَرِ وَأَوْراقِها – فَرَأَيْنَ شَيْخًا طاعِنًا فى السِّنِّ ، جالِساً فى الْكُوخِ ؛ فَتَحَدَّثْنَ إِلَيْهِ قَلِيلًا ، ثُمَّ تَرَكْنَهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النُّسَّاكِ والزَّاهِدِينَ . وَما زِلْنَ يَتَحَدَّثْنَ إِلى شُيوخِ الْغابَةِ ، واحِدًا

بَعْدَ واحِدٍ — وكانُوا جَمِيعاً مِمَّنْ عَلَتْ بِهِمُ السِّنُّ — حَتَّى بَلَغْنَ صَوْمَعَةً أَكْبَرَ قليلًا مِمَّا رَأَيْنَهُ فِي تِلْكَ الْغابَةِ مِنْ صَوامِعَ وَأَكْواخٍ، وَرَأَيْنَ شيخاً كَفِيفَ الْبَصَرِ ، مَهِيبَ الطَّلْعَةِ . فَما إِنْ رَأَتْهُ الْأَمِيرَةُ «سَفِتْرِى» ، حَتَّى عَرفَتْ أَنَّهُ شَيْخُ الْغابَةِ الَّذِى حَدَّثَها النُّسَّاكُ بِقِصَّتِهِ الْعَجِيبَةِ :



كانَ مَلِكًا ، ثُمَّ كُفَّ بَصَرُهُ . وأُتُمِرَ بِهِ عُصْبَةٌ مِنَ الْغادِرِينَ ،فطَرَدُوهُ مِنْ مُلْكِهِ شَرَّ طَرْدَةٍ ، وَهَدَّدُوه — إذا عادَ إِلَى مَمْلَكَتِه، هُوَ أَوْ أَحَدُ أَتْباعِهِ — بالْقَتْلِ

١١ — النَّشِيدُ الْهِنْدِىُّ

فَوَقَفَتِ الْأَمِيرَةُ مُفَكِّرَةً فِي قِصَّةِ هٰذا الشَّيْخِ الْمَكْفُوفِ ، تقابِلُ بَيْنَ حالَيْهِ — فى قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ ، وَفِي مُلْكِهِ وَصَعْلَكَتِهِ ، وَفِي غِناهُ

وَفَقْرِهِ – وتَرى جَلالَ الْمُلْكِ وَهَيْبَةَ السُّلْطانِ لَمْ يفارِقاهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً ، بِرَغْمِ ما عَرَضَ لَهُ مِنَ الأَحْداثِ والْمَصائِبِ الْجِسامِ .

وَبَيْنا هِيَ مُسْتَغْرِقَةٌ فى تَأَمُّلاتِها، أَبْصَرَتْ فارِساً تَنْبَعِثُ الشَّجاعةُ مِنْ بَرِيقِ عَيْنَيْهِ ، وَسَمِعَتْهُ يُغَنِّى – وهُوَ سائِرٌ فِي طَرِيقِهِ – أُنْشُودَةً هِنْدِيَّةً ، رائِعَةَ الْمَعْنَى ، بديعَةَ التَّلْحِينِ .

فَأَنْصَتَتْ إلَى نَشِيدِهِ ، فَسَمِعَتْهُ يقُولُ :

«نَفْسِي تُبْدِي – في الْخَطْبِ – قُوَّتَها وللرَّدَى تُعْلِنُ ابْتِسامَتَها
والشَّمْسُ ، لا أَتَّقِي أَشِعَّتَها وليْسَ يَخْشَى وَجْهِى حَرارَتَها
وَلا أُبالِي – فِي الصَّيْفِ – لَفْحَتَها

تَقُولُ نَفْسِي ، وَالْحَرُّ يَسْتَعِرُ : « اَلْفَوْزُ لِلْعامِلِينَ إِنْ صَبَرُوا
وَبَعْدَ حِينٍ سَيَطْلُعُ الْقَمَرُ وَثَمَّ يَحْلُو – فى ضَوْئِهِ – السَّمَرُ
والصَّبْرُ يُدْنِي لِلنَّفْسِ غايَتَها . »

١٢ – ابْنُ النَّاسِكِ

فَقالَتِ الأَمِيرَةُ فِي نَفْسِها : « إِنَّهُ يَرْتَدِي ثَوْبَ زارِعٍ وَصُعْلوكٍ ،

وَيَجْلِسُ عَلَى ظَهْرِ جَوادِهِ جِلْسَةَ الْأُمَرَاءِ والْمُلوكِ ، وَيُغَنِّى غِناءَ الْمُوسِيقِىِّ الْأَلْمَعِىِّ ، وَيُبْدِعُ — فى نَشِيدِهِ — إِبْدَاعَ الشَّاعِرِ الْعَبْقَرِىِّ ! »

وَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ جَلِيًّا ، ضَحِكَتْ مَسْرُورَةً مُبْتَهِجَةً ؛ لِأَنَّهَا عَرَفَتْ — بِما تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ صِدْقِ فِرَاسَتِها — أَنَّها قَدِ اهْتَدَتْ إِلى الرَّجُلِ الْمُهَذَّبِ الْكامِلِ ، الَّذِى كانَتْ فُنُونُ سِحْرِها تُحَدِّثُها بِهِ ، وتَمْتَدِحُهُ لَها .

وَلَمَّا بَلَغَ الْفَتَى بَابَ الصَّوْمَعَةِ ، نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَتَرَجَّلَ (مَشى عَلَى رِجْلَيْهِ) ، وَرَبَطَ جَوادَهُ ، وَحَيَّا وَالِدَهُ الشَّيْخَ الضَّرِيرَ — فى لُطْفٍ وأَدَبٍ — ثُمَّ دَخَلَ كِلَاهُما تِلْكَ الصَّوْمَعَةَ ، واسْتَخْفَيا عَنِ الأَنْظارِ .

١٣ — حَدِيثُ النَّاسِكِ

فَنادَتِ الْأَمِيرَةُ وَصائِفَها قائِلَةً :

« تَعالَيْنَ يا وَصِيفاتِىَ الْعَزِيزاتِ ، لِنَحُلَّ ضُيُوفًا عَلَى هٰـذا الشَّيْخِ الْجَلِيلِ : مَلِكِ « شَلْوازَ » : شَيْخِ النَّاسِكِينَ . »

وَقَدْ رَحَّبَ الشَّيْخُ الْكَفِيفُ بِهِنَّ أَكْرَمَ تَرْحِيبٍ ، وَظَلَّ يُحَدِّثُهُنَّ بِجَمَالِ الرِّيفِ ، وَوَدَاعَةِ الْغَابَةِ ، كَمَا حَدَّثَهُنَّ بِمَا لَقِيَهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِى جَرَّهَا عَلَيْهِ سُوءُ حَظِّهِ ، وَكَيْفَ طُرِدَ — هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَطِفْلُهُ — مِنْ مَمْلَكَةِ « شَلْوَالزَ » ، مُنْذُ عِشْرِينَ عَامًا ، فَلَجَئُوا إِلى هٰذِهِ الْغَابَةِ ، حَيْثُ عَاشُوا — مُنْذُ ذٰلِكَ الْحِينِ — وَادِعِينَ بَيْنَ هٰؤُلاءِ النُّسَّاكِ ، آمِنِينَ مِنْ كَيْدِ عَدُوِّهِمُ الْغَاصِبِ الْخَبِيثِ .

واشْتَرَكَ ابْنُ النَّاسِكِ فِى هٰذَا الْحَدِيثِ .

* * *

ومَرَّتِ الأَيَّامُ مُتَعَاقِبَةً ، فَازْدَادَتِ الأَمِيرَةُ يَقِينًا بِصَوابِ ما ظَنَّتْهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ، كما اقْتَنَعَ ابْنُ النَّاسِكِ أَنَّ هٰذِهِ الأَمِيرَةَ هِى أَكْمَلُ فَتَاةٍ أَنْجَبَتْهَا بِلادُ الْهِنْدِ .

الفصل الثانى

١ — عَوْدَةُ الأَميرةِ

وَاعْتزَمَتِ الأَميرةُ أَنْ تَعُودَ إلى بَلَدِها ، لتُخْبِرَ أَباها بما وُفِّقَتْ إِلَيْهِ فى سَفَرِها ، مِنَ التَّعَرُّفِ بِتِلكَ الأُسْرَةِ الْملوكِيَّةِ الْكَرِيمَةِ .

وَقَدْ أَسَرَّتْ إلى وَلَدِ النَّاسِكِ قِصَّتَها ، وَطلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَكتُمَ هٰذا السِّرَّ ، حَتَّى تَسْتأْذِنَ أَباها فى الزَّواجِ بِهِ . فَإذا أَقرَّها عَلَى رَأْيِها ، كاشَفَ الأَميرُ أَباهُ ، وَأَفْضَى إليْهِ بِسِرِّهِ (أَخْبَرَهُ بِهِ) .

وقَدْ فَرِحَ الأَميرُ بِهٰذا التَّوْفيقِ فَرَحًا لا يُوصَفُ

وَلمَّا عادَتِ الأَميرةُ إلى قَصْرِ أبيهـا ، رَأَتْهُ جالِساً معَ الْحَكيمِ « نارادا » ، وكانا يَتَشاوَرانِ — حِينَئِذٍ — فى أَمْرِها .

وَأقبَلَتْ « سَفِتْرِى » عَلَى أبيها — فِى احْتِرامٍ وَخُشُوعٍ — ومَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، راكِعَةً أمامَهُ ، إجْلالًا لهُ وتَعْظِيماً ، ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِقِصَّتِها ، وخَتَمَتْها قائِلَةً :

« إنَّهُ يَرْتَدِى ثَوْبَ صُعْلُوكٍ ، ولٰكِنَّ لَهُ هِمَّةَ الْمُلُوكِ .

وَهُوَ فِي مَوْلِدِهِ أَمِيرٌ ، مَعَ أَنَّ أَباهُ — اليَوْمَ — ناسِكٌ فقير وقَلْبُه مِثْلُ قَلْبِ الفلّاحِ طُهْرًا وَتقاء ، وَطِيبَةً وَوَفاء .

وهُوَ شاعِرٌ حَسَنُ المعانِي والأداء ، وَمُوسِيقِيٌّ رائِعُ الإنشادِ والغِناء .

٢ — اسْمُهُ « سَتْياڤانُ »

فَقال المَلِكُ : « إِنِّي أُهَنِّئُكِ بِما ظَفِرْتِ بِهِ مِنْ تَوْفِيقٍ . ولٰكِنَّكِ نسيتِ أَنْ تَذْكُرِي لَنا اسْمَ هٰذا الأَمِيرِ ! »

فَقالَتْ لَهُ : « اِسْمُهُ سَتْياڤانُ ! »

فَقَفَزَ الحَكِيمُ « نارادا » حِينَ سَمِعَ هٰذا الِاسْمَ ، وَرَفَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ مُرْتاعًا ، وَقالَ مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا : « أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ اسْمُهُ ، كَما قُلْتِ ، سَتْياڤانَ ؟ »

فأجابَتْه باسِمَةً : « إِنَّهُ سَتْياڤانُ بِعَيْنِهِ ، يا سيِّدِيَ النّاصِحَ الحَكِيمَ . »

فَسَأَلَهُ المَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « ماذا فَزَّعَكَ مِنِ اسْمِهِ ؟ أَلَيْسَ كما وَصَفَتْهُ بِنْتِي : شَجاعَةَ قَلْبٍ ونُبْلًا ، ورَجاحَةَ عَقْلٍ وَفَضْلًا ؟ »

فَقالَ « نارادا » : « بَلَى . وَهُوَ أَعْظَمُ مِمّا وصَفَتْهُ الأَمِيرَةُ . وَلٰكِنَّ مَلَكَ المَوْتِ : « ياما » ، قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ عَلَى هٰذا الأَمِيرِ ، وَكَتَبَهُ فى دَفْتَرِ الهالِكِينَ ، ولَنْ يَسْمَحَ لهُ بالحَياةِ أَكْثَرَ منْ سَنَةٍ واحِدَةٍ ! »



٣ — صَوْتٌ كَرِيمٌ

فارْتاعَ الْمَلِكُ ، وامْتُقِعَ وَجْهُ الْأَمِيرَةِ (تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنَ الْحُزْنِ والْفَزَعِ) ، وكادَ يُغْمَى عَلَيْها . ولٰكِنْ سُرْعانَ ما أفاقَتْ مِنْ ذُهُولِها واسْتَمْسَكَتْ ، حِينَ هَمَسَ فِي أُذُنِها صَوتُ هاتِفٍ كَرِيمٍ : « الْوَفاءُ مِنْ شِيمَةِ الْأَحْرارِ ، والْغَدْرُ مِنْ خُلُقِ الأشْرارِ ، ورَحْمَةُ اللهِ واسِعَةٌ . »

فَوَقَفَتْ قائِلَةً ، وقدِ اسْتَرَدَّتْ شَجاعَتَها :

« إنَّ ما تَقُولُهُ حَقٌّ . ولٰكِنَّنِي لَنْ أُخْلِفَ وَعْدِي . وَسَأَبَرُّ بِعَهْدِي ، ولوْ تَرَمَّلْتُ (بَقِيتُ أرْمَلَةً بلا زَوْجٍ) خَمْسِينَ عامًا ! »

٤ — قَرارُ « نارادا »

وَحِينَئِذٍ وَقفَ الْحَكِيمُ النَّاصِحُ ، وأطْرَقَ لَحَظاتٍ ، وَقَدِ اسْتَنَدَ رَأْسُهُ إلى صَدْرِهِ حَتَّى كادَ يَسْتَخْفِي فيه ، وانْسَدَلَتْ على وَجْهِهِ عَباءَتُه الطَّوِيلَةُ . فَكَتَمَ الْمَلِكُ والأمِيرَةُ أنْفاسَهُما حَتَّى لا يَقْطَعا تَفْكِيرَهُ .

ثُمَّ أفاقَ الْحَكِيمُ مِنْ أحْلامِهِ ، فَدَفَعَ إلى الْأمامِ عَباءَتَهُ ، ورَفَعَ نَحْوَ الْأَمِيرَةِ يَدَيْهِ مُسْتَعْطِفًا ، كأنَّما يَعْتَذِرُ عَمَّا فاهَ (نَطَقَ) بِهِ . ثمَّ قال :

« السَّلامُ لَنْ يَنتقلَ عَنْكِ ، يا بِنتَ مَلِكِ الْجيادِ ! »

ثُمَّ تَرَكَهُما وانْصَرَفَ .

٥ — إلى الْغابَةِ

سَأَلَتِ الْأَميرَةُ أَباها عَمَّا يَعْنيهِ « نارادا » ، فَقالَ لَها :

« لَمْ أَفْهَمْ ما عَناهُ . ولٰكِنْ حَسْبُنا أَنَّهُ كَفَّ عَنْ مُمارَسَتِهِ . وَلَوْ رَأَى شَرًّا لَأَصَرَّ عَلَى اعْتِراضِهِ . والرَّأْيُ لَكِ — يا بُنَيَّتي — بَعْدَ أَنْ عَرَفْتِ ما كانَ خافِيًا عَنْكِ مِنْ قَبْلُ . فَإِنْ شِئْتِ وَفَيْتِ بِوَعْدِكِ ، وإِنْ شِئْتِ اعْتَذَرْتِ لَهُ . »

فَقالَتْ : « لا سَبيلَ إلى الغَدْرِ وَنَقْضِ العَهْدِ . »

فَلَمَّا رَآها مُصِرَّةً عَلَى الْوَفاءِ بِوَعْدِها ، أَعْلَنَ عَزْمَهُ عَلَى تَزْويجِها بِالْأَميرِ « سَتْياڤانَ » . واسْتَقَلَّ الْمَلِكُ وبِنْتُهُ مَرْكَبَتَهُما الْمُلوكِيَّةَ الَّتي يَجُرُّها الثَّوْرانِ الأَبْيَضانِ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلا فِيها — مَعَهُما — كَثيرًا مِنَ النَّفائِسِ ، هَدِيَّةً لِوالِدَيِ الأَميرِ « سَتْياڤانَ » .

٦ — عِنْد ملك « شَلْوَاز » .

وَلَمَّا عَلِمَ مَلِكُ « شَلْوازَ » بِما قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ « مَلِكُ الجِيادِ » وَبِنْتُهُ

« سَفِقْتِرِى » ، تَمَلَّكَهُ الدَّهَشُ . وسَأَلَهُما مُتَعَجِّباً : « كَيْفَ تَرْضَى « بِنْتُ السَّماءِ » أَنْ تَعيشَ — بَيْنَ ظَهْرَانَيْنا — فى هٰذِهِ الْغابَةِ الْمُوحِشَةِ ؟ وكَيْفَ تَسْتَسِيغُ طَعامَنا ، وتَأْلَفُ عاداتِنا ، ونَحْنُ نَفْتَرِشُ الْأَرْضَ ، ونَطْعَمُ الطُّحْلُبَ وثِمارَ الْغابَةِ ، ونَلْبَسُ جُلُودَ الْوُحُوشِ ، وقِشْرَ الشَّجَرِ ، ولا نَأْلَفُ الْحُلِيَّ والْوَسَائِدَ (الْمِخَدَّاتِ) ، ولا يَقُومُ بِخِدْمَتِنا أَحَدٌ غَيْرَ أَنْفُسِنا ، ولا حَظَّ لنا إِلَّا التَّقَشُّفُ والْعِبادَةُ ، والزُّهْدُ فِيما تَحْوِيهِ الدُّنْيا مِنْ لَذائِذَ فانِيَةٍ ؟ »

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ قَوْلَ شَيْخِ النُّسَّاكِ ، أَسَرَّتْ إِلَيْهِ حَقِيقَةَ أَمْرِها ، فاقْتَنَعَ بِما قالَتْهُ . ثُمَّ أَدْخَلَ ضَيْفَيْهِ صَوْمَعَتَهُ ، وهِىَ — كما أَخْبَرْتُكَ — مُشَيَّدَةٌ بِأَغْصانِ الشَّجَرِ وأَوْراقِها وأَفْضَى النَّاسِكُ إِلى زَوْجَتِهِ (أَخْبَرَها) بِقِصَّةِ ضَيْفَيْهِ الْعَظِيمَيْنِ ؛ فَرَحَّبَتْ بِهِما أَحْسَنَ تَرْحِيبٍ .

٧ — حَفْلَةُ الْعُرْسِ

ثُمَّ عادَ الْأَمِيرُ « سَنْياقانُ » — مِنْ صَيْدِهِ — بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، وتَمَّ زَوَاجُهُ بِالْأَمِيرَةِ فى تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وحَضَرَ جِيرانُهُمْ — مِنَ النُّسَّاكِ —

فَهَنَّئُوا الْعَرُوسَيْنِ ، وابْتَهَجُوا بِما مَيَّزَ اللهُ بِهِ الأَمِيرَةَ مِنْ جَمالِ الْخَلْقِ والْخُلُقِ ، وأَثْنَوْا عَلَيْها أَطْيَبَ الثَّناءِ .

* * *

وزادَ إِعْجابُهُمْ بِها حِينَ خَلَعَتْ جَوَاهِرَها وحُلِيَّها وَثِيابَها الْفاخِرَةَ ، واسْتَبْدَلَتْ بِها ثَوْبًا مِنْ قِشْرِ الشَّجَرِ الْبُنِّيِّ اللَّوْنِ ، الَّذِي يَرْتَدِيهِ أَهْلُ الْغابَةِ .

وقَدِ ارْتَدَتْ هٰذا الثَّوْبَ الْحَقِيرَ ، وهِيَ تَقُولُ :

« لَسْتُ الآنَ أَمِيرَةً ، بَلْ ناسِكَةٌ فَقِيرَةٌ . »

* * *

وفِي الْيَوْمِ التَّالِي وَدَّعَها الْمَلِكُ ، واثِقًا مِنْ عَوْدَتِها إِلَيْهِ بَعْدَ انْقِضاءِ الْعامِ .

١ – صَوْتُ الهاتِفِ

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ – كما تَمُرُّ أَوْقاتُ السَّعادَةِ – سِراعًا . ولَمْ يَكُنْ يُنَغِّصُ عَلَى الأَمِيرَةِ سَعادَتَها إلَّا شَيْءٌ واحدٌ ، هُوَ دُنُوُّ أَجَلِ الأَمِيرِ فكانَتْ تَتْرُكُهُ بَيْنَ حِينٍ وآخرَ ، وتَجْلِسُ وَحْدَها – فى الْغابَةِ – مُتَأَوِّهَةً باكِيَةً حَظَّهُ الْعاثِرَ .

ولَمَّا أَشْرَفَ الْعامُ عَلَى نِهايَتِهِ ، سَمِعَتِ الْهاتِفَ يَهْمِسُ إِلَيْها قائِلًا : « بَعْدَ أَنْ يَنْقَضِيَ هٰذا الْيَوْمُ ، لَنْ يَعِيشَ الأَمِيرُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ . »

فاعْتَزَمَتْ أَلَّا تَتْرُكَ زَوْجَها لَحْظَةً واحِدَةً ، لَعَلَّها تَرَى مَلَكَ الْمَوْتِ الْمُسَمَّى عِنْدَ الهِنْدُوسِ : « ياما »

وقالَتْ فى نَفْسِها : « مَنْ يَدْرِى ؟ فَلَعَلِّى أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْطَعَ شَبَكَةَ الْمَوْتِ – حِينَ يَقْتَرِبُ « ياما » مِنَ الأَمِيرِ – أَوْ أَثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ بالْحِيلَةِ . فإِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي أَنَّ أَمَلِى لَنْ يَخِيبَ . »

٢ — مَصْرَعُ الأمِـيرِ

وَلَمَّا طَلَعَ فَجْرُ الْيَوْمِ الثَّالِثِ، ذَهَبَتِ الأَمِيرةُ إلى النَّاسِكِ الضَّرِيرِ، فاسْتَأْذَنَتْهُ أنْ تَصْحَبَ زَوْجَها إلى الْغابَةِ فى ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

فَأَذِنَ لَها أنْ تَصْحَبَهُ، عَلَى أَلَّا تُعَوِّقَهُ عَنْ قَطْعِ الأَشْجارِ .



وَقَدِ امْتَلأَتْ نَفْسُ الأميرِ مَرَحًا وحُبُورًا — فى ذٰلِكَ الْيَوْمِ — بِقَدْرِ ما حَزِنَتِ الأميرَةُ الَّتى كانَتْ قَلِقَةً عَلَى زَوْجِها، تُجِيلُ بَصَرَها (تُدِيرُ لِحاظَها) فى كلِّ ما يَكْتَنِفُها مِنْ نَباتِ الْغابَةِ وشَجَرِها وقَصَبِها الْعالى، باحِثَةً عَنْ « ياما »، وقَدِ ارْتَجَفَتْ شَفَتاها مِنَ الرُّعْبِ . وَلَمَّا بَلَغا عِيدانَ الْقَصَبِ الضَّخْمَةَ، حاوَلَ « سَتْياڤانُ » أنْ يَرْفَعَ مِلْطَسَهُ (فَأْسَهُ) لِيَقْطَعَ واحدًا مِنْها؛ فَخَذَلَتْهُ

قوَّتُه ، وهَوَى الْمِلْطَسُ مِنْ يدِهِ إِلَى الْأَرْضِ . فَصاحَ مَذعُورًا :

« وَاهٍ وَاهٍ ، يا « سَفِتْرِى » . أىُّ أَلَمٍ هٰذا الَّذِى يُمَزِّقُ رَأْسِى ، ويُبَدِّدُ قُوَّتِى ! اِجْلِسِى قَلِيلًا ؛ فإِنِّى فِى حَاجَةٍ إِلَى النَّوْمِ . »



٣ — شَبَكَةُ الْمَوْتِ

وَحِينَئذٍ أَدْرَكَتْ « سَفِتْرِى » أَنَّ ساعةَ الْقضَاءِ قَدْ حانَتْ . ونَظَرَتْ ؛ فإِذا بِها تُبْصِرُ شَبَحًا أَخْضَرَ طَوِيلَ الْقامَةِ ، نَحِيلَ الْجِسْمِ ، مُتَوَهِّجَ الْعَيْنَيْنِ ، وفى يَدِهِ حَبْلٌ طَوِيلٌ .

فعلِمَتْ أَنَّها تَرَى أَمامَها « ياما » ، وأَنَّ ذٰلِكَ الْحَبْلَ الطَّوِيلَ هُوَ شَبَكَةُ الْمَوْتِ .

ولَمْ يَدِبَّ الْيأْسُ إِلَى قَلْبِها ، فوَقفَتْ مُتَباطِئَةً ، وانْحَنَتْ أَمامَهُ ضارِعَةً ،

وهِىَ تَقُولُ : « مَنْ أنْتَ ، أيُّها الْمَوْلَى الْعَظِيمُ الْقَوِىُّ ؟ »

فَقالَ لَها : « لا تَسْألِى عَنِ اسْمِى ، يا « سَفِتْرِى » . وَحَسْبُكِ أنْ تَعْلَمِى أنَّنِى جِئْتُ لِزَوْجِكِ « سَنْياڤان » الَّذِى انْتَهَتْ حَياتُهُ . »

ثُمَّ أَلْقَى شَبَكَتَهُ — لِلْحالِ — عَلَى الأمِيرِ النَّائِمِ ، فَأمْسَكَتْ بِرُوحِهِ كَما تُمْسِكُ بِالْكُرَةِ ، وَجَذَبَها إلَيْهِ . ثُمَّ أدارَ وَجْهَهُ صَوْبَ الْجَنُوبِ ، وظَلَّ يَعْدُو فِى مِثْلِ سُرْعَةِ الْبَرْقِ .

٤ — فى عالَمِ الموْتَى

وَلَمْ تَقِفْ « سَفِتْرِى » مَكْتُوفَةَ الْيَدَيْنِ ، بَلْ جَرَتْ مُسْرِعَةً فِى أثَرِهِ . وما زَالَتْ تَجْرِى حَتَّى اجْتازَتْ عالَمَ الأَحْياءِ ، ثُمَّ وَاصَلَتْ طَيَرانَها خَلْفَهُ فِى عالَمِ الأَمْواتِ . وَحِينَئِذٍ وَقَفَ « ياما » والْتَفَتَ إلَيْها قائِلًا :

« ارْجِعِى — يا بُنَيَّتِى — مِنْ حَيْثُ أتَيْتِ ، وَادْفِنِى جُثَّةَ زَوْجِكِ ؛ فَقَدْ أتْعَبْتِ نَفْسَكِ بِلا فائِدَةٍ . »

فَقالَتْ لَهُ : « كَلَّا ، أيُّها الْمَوْلَى الْعَظِيمُ . لا سَبِيلَ إلى ذٰلِكَ ؛ فَقَدْ عاهَدْتُ زَوْجِى عَلَى أنْ أتْبَعَهُ حَيْثُما حَلَّ .

وَما أَظُنُّكَ — يا مَوْلايَ — تَرْضَى لِي أَنْ أَخُونَ الْعَهْدَ ! »

فابْتَهَجَ « ياما » حِينَ رَأَى حِرْصَها عَلَى الْوَفاءِ بِعَهْدِها ، وأُعْجِبَ بِحُسْنِ أَدَبِها فِي حَدِيثِها ، فقالَ لَها :

« صَدَقْتِ — يا بُنَيَّتِي — وبِالْحَقِّ نَطَقْتِ . وسَأَجْزِيكِ عَلَى وَفائِكِ أَحْسَنَ الْجَزاءِ . فَتَمَنَّيْ شَيْئًا غَيْرَ عَوْدَةِ زَوْجِكِ إِلَى الْحَياةِ »

٥ — الجائِزَةُ الأُولَى

فَأَطْرَقَتْ لَحْظَةً ، وقَدْ رَأَتْ أَلَّا تُضِيعَ الْفُرْصَةَ ، فَقالَتْ :

« أُرِيدُ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَلِكُ « شَلْوازَ » بَصَرَهُ وَقُوَّتَهُ . »

فَقالَ لَها « ياما » : « لَقَدْ أَجَبْتُكِ إِلَى طِلْبَتِكِ . فَعُودِي أَدْراجَكِ يا فَتاةُ ، فَلَمْ يَعْبُرْ هٰذا الْمَكانَ أَحَدٌ — مِنْ قَبْلُ — وَهُوَ حَيٌّ . »

فَلَمْ تَيْأَسْ مِنْ تَحْقِيقِ أَمَلِها ، وقالتْ مُتَوَدِّدَةً : « إذا كانَ الْمَوْتَى يَنْعَمُونَ بِرِعايَةِ مِثْلِكَ ، فَإِنَّ عالَمَ الْأَمْواتِ هُوَ — عِنْدِي — خَيْرٌ مِنْ عالَمِ الْأَحْياءِ ؛ لِأَنَّ فِي الْبَقاءِ إِلَى جِوارِكَ بَهْجَةً مُتَجَدِّدَةَ الرَّوْعَةِ . »

٦ — الْجائِزَةُ الثانيَةُ .

فاشْتَدَّ إعْجابُ « ياما » بلَباقَتِها ، وحُسْنِ جَوابِها ، وقالَ لَها : « لَكِ جائِزَةٌ أُخْرى ، فاطْلُبيها تُجابِى إلَيْها . »

فَقالتْ لَهُ : « أُريدُ أَنْ تُعيدَ لِوالِدِ زَوْجِي عَرْشَهُ المسْلُوبَ مِنْهُ . »

فَقالَ لَها : « لَكِ ما تَطلُبينَ . فارْجِعِي إلى جُثَّةِ « سَتْياڤانَ » قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَها بناتُ آوَى . »

فَقالتْ لَهُ : « لَسْتُ أُبالِي أَنْ تَأْكُلَ الْجِسْمَ بَناتُ آوَى ؛ فَلَيْسَ لِلْجَسَدِ — مَتَى فارَقَتْهُ الرُّوحُ — فَضيلَةٌ ولا خَطَرٌ .

إِنَّ الْجِسْمَ يُعَوَّضُ ، أَمَّا الرُّوحُ فَلا سَبيلَ إِلَى تَعْوِيضِها ! »

٧ — الجائِزَةُ الثَّالثةُ

فَقالَ لها : « ما أَصْدَقَ ما تَقُولِينَ ! إِنَّ عَقْلَكِ — أَيَّتُها الْفَتاةُ — أَكْبَرُ مِنْ عُقُولِ الأَناسِيِّ : أَبْناءِ الأَرْضِ .

وقَدْ أَمَرْتُ لَكِ بِجائِزَةٍ ثالِثَةٍ ، مُكافَأَةً لَكِ . »

فقالتْ لَهُ : «أُريدُ أَنْ يَكُونَ لِي مائَةُ وَلَدٍ، يا مَوْلايَ الْعَظِيمَ !»
فَقالَ لَها : « سَأُحَقِّقُ لَكِ ما تَطْلُبِين . »
فابْتَهَجَتِ الأميرَةُ ، وصَفَّقَتْ بِيَدَيْها مَحْبُورَةً (مَسْرُورَةً) ، وقالتْ :
« ما دُمْتَ قَدْ وَعَدْتَنِي بِذَلِكَ ، فارْجِعْ إِلَيَّ زَوْجِي « سَتياڤانَ » . أَعِدْ رُوحَهُ إلى جَسَدِهِ ، فَلَنْ أَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ أَبدًا ! »

٨ — الْجائِزَةُ الرَّابعةُ

فَأَدْرَكَ « ياما » أَنَّ قُوَّةَ أَكْبَرَ مِنْ قُوَّتِهِ أَرادَتْ ذلِكَ .
ولَمْ يَكُنْ لهُ بُدٌّ مِنَ الْبِرِّ بِوَعْدِهِ ، فَأَطْلَقَ الرُّوحَ مِنَ الشَّبَكَةِ ، فَطارَتْ — فِي الْهَواءِ — وعادَتْ إلى جُثَّةِ « سَتياڤانَ » فِي الْغابَةِ .

٩ — تَحَقُّقُ الرَّغَباتِ

وأَسْرَعَتْ « سَڤِتْرِى » إلى الْغابَةِ ، فَبَلَغَتْها بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ .
فَرَأَتْ زَوْجَها غارِقًا فِي نَوْمِهِ ، فَأَيْقَظَتْهُ مُتَلَطِّفَةً .

فَمَدَّ جَسَدَهُ وَتَثاءبَ ، ثُمَّ الْتفَتَ إِلَيْها قائِلًا :

« لَقَدْ طالَ نَوْمِي بِلا شَكٍّ ، فَما بالُكِ لَمْ توقظِينِي قَبْلَ الآنَ ؟ »

فابْتَسَمَتْ « سَفِتْرِى » ، ورَبَّتَتْ كَتفَهُ قائِلَةً :

« هَلُمَّ ، فَلْنُسْرِعْ بِالْعَوْدَةِ إلى الْبَيْتِ ، فَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وخَيَّمَ الظَّلامُ عَلَى الأَرْضِ . »

ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ — وهِيَ عائِدَةٌ مَعَهُ — بِكُلِّ ما حَدَثَ .

وما كانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهُ وابْتِهاجَهُ حِينَ دَخَلَ الْبَيْتَ فَرَأَى أَباهُ مَسْرُورًا بِعَوْدَةِ بَصَرِهِ وصِحَّتِهِ فَجْأَةً . وقَدْ شارَكَتْهُ أُمُّ « سَتْياڤانَ » فى فَرَحِهِ ، وأَقْبَلَ نُسَّاكُ الْغابَةِ يُهَنِّئُونَهُ بِعَوْدَةِ بَصَرِهِ إِلَيْهِ .

وحِينَئِذٍ قَدِمَ رَسُولٌ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ الَّذِى اغْتَصَبَ مُلْكَ « شَلْوازَ » قَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ ، وأَنَّ الشَّعْبَ لا يُرِيدُ بِمَلِيكِهِ الْعادِلِ الرَّحِيمِ بَدِيلًا .

وفِى الْيَوْمِ التَّالى عادَتِ الأُسْرَةُ كُلُّها إلى مَمْلَكَةِ « شَلْوازَ » ، حَيْثُ عاشُوا جَمِيعًا فِى سُرُورٍ وابْتِهاجٍ طَوالَ حَياتِهِمْ .

١٠ــخاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وقَدْ رُزِقَتْ « سَفِـتِري » مِائَةَ وَلَدٍ ، كَما وَعَدَها « ياما » .

وكانَتْ تَحْتَفِلُ بأَعْيادِ مِيلادِهِمْ — واحدًا بعْدَ آخَرَ — متَى بَلَغَ الْعامَ الْعاشِرَ ، احْتِفالًا عَظِيماً . ثمَّ تَقُصُّ عَلَى ضُيُوفِها : نِساءً ورِجالًا — بعْدَ أنْ تَرْفَعَ الْمائِدَةَ — تَفاصِيلَ هٰذِهِ الْقِصَّةِ الْمُعْجِبَةِ ، وكَيْفَ كُوفِئَتْ عَلَى وَفائِها خَيْرَ مُكافَأَةٍ . وجُوزِيَتْ عَلَى إِخْلاصِها خَيْرَ جَزاءٍ .

مكتبة الكيلانى للأطفال[1]

. . . وهكذا نجحت – يا أستاذ – فى أن تحبب إلى الأطفال مكتبتهم ، وتغريهم بالمطالعة .

هنيئاً لك هذا النجاح . فخير أنهاج التعليم ما صادف هوى المتعلم ، وأجدى أنماط التربية ما لاءم مزاج الصبى . . .

أحمد لطفى السيد

كامل كيلانى معلم الشعب العربى

والأستاذ « كامل كيلانى » هو معلم طفولتنا أولا ، ومعلم رجولتنا ثانياً . ولقد فطن – حفظه الله – إلى ضرورة تربية الشعب فى صورة أبنائه ، منذ أول عهدهم بالقراءة والاطلاع . فانبرى يؤلف كتباً للأطفال تتفق هى ومداركهم ، وتنطوى على غرض سام ، هو أن يجيدوا لغتهم ، فى أثناء قراءتهم لهذه الكتب . وقد نظم مجموعة نفيسة من قصص شرقية وغربية ، فقطف أنضر ما فى حدائق الشرق والغرب : جمع بين « ألف ليلة » و « شكسبير » ، وانتخب أطيب ما أنتجته العقول فى الخافقين ، ليعطى ثمارها أبناء الشعب كى يستفيدوا منها ، ويتمتعوا بها . والجميل فى صنع الأستاذ « كامل » أن هذه الكتب التى أبدعها محلاة بشكل دقيق ، وبيان مفيد ، يحرس الطفل من أى حيرة – فى أثناء

---

(١) من كلمتين للسيد وزير التربية والتعليم الأسبق ومدير جامعة القاهرة السابق ورئيس مجمع اللغة العربية ، والسيد الدكتور المستشرق المجرى الأستاذ بجامعة « بودابست » .

قراءته — فينشأ عارفاً للألفاظ الصحيحة ، متذكراً لضبطها الدقيق ، فلا يقع فى خطإ مطلقاً . وللأستاذ «كامل» كتب قصصية جذابة إلى جانب كتب الأطفال . ولقد فتن بها أنفسنا ، واستهوى عقولنا . ولا شك فى أنها — بأسلوبها السلس ، وموضوعاتها النفيسة — فتنة أى فتنة !

ومما راعاه الأستاذ «كامل» ، ووفق فى مراعاته ، أنه لا يفارق الأطفال — بعد أن يشبوا قارئين لكتبه التى وضعها للطفولة — إلا ليلقاهم ويلقوه ، مرة أخرى ، فى كتبه القيمة التى ألفها لهم فى الاجتماع والتاريخ ، وفى إرشاده لهم وتعريفهم بأساتذة الأدب وشعراء العربية ، مثل : « ابن الرومى » و « ابن زيدون » و « أبى العلاء المعرى » . وبذلك يستطيعون أن يتمتعوا بآثار هؤلاء بلا مشقة . ولا تقتصر فائدة هذه الكتب على الأطفال والشبان من الشرقيين فحسب ، بل نستفيد منها نحن الأجانب الذين يدرسون العربية ويتلقون علمهم لها من كتب ومعاجم ، ونحن نشعر بفائدتها شعوراً قويا .

* * *

قال أبو العلاء المعرى : « إن الأعمال الحسنة هى ثواب الإنسان ! »

وأنا على ثقة أن أعمال الأستاذ الكيلانى تثيبه ، وتغنيه عن كل مدح زائل .

وإن له لأثراً خالداً فى خدمة اللغة ، وترقية أبناء العروبة إلى مستوى الكمال .

وإنى ليسرنى أن أنوه بهذا اللقب الذى منحه إياه الأدباء والعلماء ، وهو لقب «نقيب الأدباء» . والأستاذ « كامل » جدير بهذا اللقب ، فله التهنئة الخالصة .

عبد الكريم جرمانوس

---

(١) لعله يعنى قول أبى العلاء :

« فلتفعل النفس الجميل ، لأنه خير وأحسن ، لا لأجل ثوابها »

أو قوله :

«عليك بفعل الخير ، لو لم يكن له — من الفضل — إلا حسنه فى المسامع »

مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص . ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش .
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين .
٧ صراع الأخوين .

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب .
٣ [illegible] الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أثينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند .
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ جلفر فى بلاد الأقزام .
٢ « فى بلاد العمالقة .
٣ « فى الجزيرة الطيارة .
٤ « فى جزيرة الجياد الناطقة .
٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

١ حى بن يقظان . ٢ ابن جبير فى مصر
٣ عودة ابن جبير إلى سوريا والأندلس .

قصص تمثيلية

١ الملك النجار .





دار المعارف